

تفسير «قانون الإيمان» العربية القديمة

الأب بيار مصري^٥

تمهيد

إغنت المكتبة المسيحية العربية في السنوات الأخيرة بمجموعة من المصنفات الحديثة، التي تتخذ من تفسير «قانون الإيمان» موضوعاً لها أو منهجاً تتبعه في عرضها لقضايا الإيمان المسيحي وعقائده الأساسية. بعض هذه الكتب موضوع أصلاً باللغة العربية وموجه إلى قرائها^(١)، وبعضه الآخر مترجم عن إحدى اللغات الأجنبية^(٢) لفائدة قراء لغة الضاد ومُثَقِّفها.

(٥) باحث في التراث العربي المسيحي، مُحاضر في كُليَّة الفلسفة بجامعة حلب، ومعيد القديس بولس - حريصا، والمعهد البابوي للدراسات العربية والإسلامية - روما. نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: سليم بترس البولسي، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر (٣ أجزاء)، سلسلة «الفكر المسيحي بين الأمس واليوم» ٢ و ٣ و ٤، بيروت، المكتبة البولسية، ١٩٨٤ و ١٩٨٥ و ١٩٨٨. كوستي بندلي ومجموعة من المؤلفين، مدخل إلى العقيدة المسيحية، بيروت، منشورات النور، ط ٣، ١٩٨٢. أغناطيوس هزيم، أؤمن: حوار من الباب الملوكي، بيروت، منشورات النور، ١٩٧٧.

(٢) نذكر منها على سبيل المثال أيضاً: مجلس أساقفة كنيسة ألمانيا، المسيحية في عقائدها، تعريب كيرلس سليم بترس، سلسلة «الفكر المسيحي بين الأمس واليوم» ١٨، بيروت، المكتبة البولسية، ١٩٩٨. جوزيف راتنجر، مدخل إلى الإيمان المسيحي، تعريب نبيل خوري، سلسلة «الفكر المسيحي بين الأمس واليوم» ١٥، بيروت، المكتبة البولسية، ١٩٩٤. هانس أورس فون بلنسا، تؤمن... تأملات في قانون الرسل، تعريب كميل حشيد البسري، بيروت، =

أما تفاسير قانون الإيمان العربيّة القديمة، فالمعرفة بها لم تزل مقتصرة على قلة من الباحثين المتخصّصين في شؤون التراث العربيّ المسيحيّ، ولم تحظْ بعدُ بمنْ ينفّض عنها غبار السنين ويجعل نصرصيا في متناول المهتمّين بشؤون الثقافة المسيحيّة العربيّة وتناقلها عبر العصور. وما غاية هذا المقال إلّا التعريف الأوّليّ بأهمّ ما وصلنا من هذه التفاسير، نختصره عن حصيلة من المعلومات تجمّعت لدينا في أثناء العمل على تحقيق نصّ واحد من أكثر هذه التفاسير توسّعاً، دوّنه على أرجح تقدير، مؤلف بغداديّ مجهول في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلاديّ^(٣).

و«تفسير قانون الإيمان» نوع أدبيّ عريق ضاربُ الجذور في التقليد المسيحيّ اللاهوتيّ والكراسيّ، يعتمدُ فيه المفسّر تقليديّاً على أحد قوانين الإيمان المتداولة، جاعلاً منه موضوعاً لتأويل متظلم، فيتناول بالشرح نصوص فقراته الواحدة تلو الأخرى، مستعرضاً هكذا، بقدر متفاوت من التوسّع أو الاختصار، مُجمل جوانب الإيمان المسيحيّ الأساسيّة.

نشأ هذا النوع من الكتابات اللاهوتيّة في التقليد الآبائيّ اعتباراً من القرن الرابع^(٤)، حيثُ ازدهرت في كثير من الكنائس العظات التعليميّة الخاصّة بتهيئة الموعوظين لقبول المعموديّة، وكان تفسيرُ قانون الإيمان

=دار المشرق، ١٩٩٤. تيودور ري مرميه، مؤمن، تعريب يوسف ضرغام، منشورات قسم الليتورجيا في جامعة الروح القدس، ٣، الكسليك (لبنان)، ١٩٨٣. (٣) هذا التفسير محفوظ اليوم في مخطوط وحيد: حلب - مباط ١١٢٩. وقد قُمتُ بتحقيق القسم الأوّل منه الخاصّ بموضوع التوحيد والتثليث مع دراسة رافية لتاريخه ومصادره، ونزّعت على العمل كي نشره كاملاً (إن شاء الله!) في سلسلة «التراث العربيّ المسيحيّ».

(٤) من أجل استعراض مريع، لكثّة جيّد الوثائق، لمجمل التفاسير الآبائيّة لقانون الإيمان، يمكن مراجعة: SABUGAL S., *Io credo la fede della chiesa: Il simbolo della fede - storia e interpretazione*, Roma, Ed. Dehoniane, 1990, 56-62. انظر أيضاً مقالة Jean Daniélou لكتاب: *L'Initiation chrétienne, textes* recueillis et présentés par A. Hamman, Paris, DDB, 1980.

يمثل الرُكنَ الأساسي في برنامج هذه التهيئة^(٥).

ولعلَّ أشهر هذه المؤلفات في تراث الشرقين هي عظات القديس كيرلس الأورشليمي (٣١٥-٣٨٧م)^(٦)، الذي صار أسقفًا على القدس الشريف سنة ٣٤٨م، وترجع عظاته التي وصلت إلينا إلى أيام خدمته الكهنوتية فيها، أو إلى أوائل سنوات أسقفيته. يبلغ العدد الكلي لعظات كيرلس ٢٤ عظة. الأولى منها بمثابة تمهيد، تليها ١٨ عظة موجهة إلى المزمعين أن يعتمدوا، ويشغل تفسير قانون الإيمان منها العظات ٦-١٨، أما الخمس الباقية، الموجهة إلى المعمدين حديثًا، فتختص بأسرار المعمودية والميرون والإفخارستيا التي يتلقاها المعتمد^(٧).

تساوي عظات كيرلس في الشهرة والأهمية مجموعة عظات ثاوذورس المصيصي^(٨) التعليمية، حيث يشغل تفسير قانون الإيمان

(٥) راجع في هذا الموضوع: MAZZA E., «Les raisons et la méthode des cathéchèses mystagogiques de la fin du quatrième siècle» in: *La prédication liturgique et les commentaires de la liturgie* (Conférences Saint-Serge, Paris-1990) Roma, Edizioni Liturgiche, 1992, 153-155.

(٦) عن حياته وعظاته نكتفي بالإحالة على هذه الكتابات ومراجعتها: PAULIN A., *Saint Cyrille de Jérusalem catéchète*, (Lex Orandi, 29), Paris, Cerf, 1959; *Patrologia II*, 365-380; «Cirillo di Gerusalemme» in *DPAC* 1, 696-697; BONATO A., *La dottrina trinitaria di Cirillo di Gerusalemme*, Roma, Inst. Patristicum Augustinianum, 1983.

(٧) انظر نص العظات في: PG 33 (1857) 332-1125. والعظات الخمس الأخيرة في: Cyrille de Jérusalem, *Catéchèses Mystagogiques*, (Sources Chrétiennes, 126) Paris, Cerf, 1966.

(٨) ثاوذورس المصيصي (٣٥٠-٤٢٨م). أنطاكي نشأة ولاهوتًا، انتخب أسقفًا على طرسوس سنة ٣٧٨، ثم على مضبعة سنة ٣٩٢، وبقي فيها حتى وفاته. تُظهر نصوص مؤلفاته المكتشفة حديثًا سلامة عقيدته بالنسبة إلى محيط عصره اللاتاني واللاهوتي، بعدما أدانه المجمع المسكوني القسطنطيني الثاني (٤٥٣م) استنادًا إلى نصوص مُجتزأة ومنقولة عن مصادر غير مباشرة، بعد ١٢٥ سنة على وفاته برائحة العلم والقداسة. كتب باليونانية، لكن أهم مصنفاته حفظت لنا الترجمات السريانية التي أنجزها علماء الكنيسة «السطورية»، وهي الكنيسة التي اعتبرته على الدوام مُفسرًا الأعظم. عن حياته ومؤلفاته، نكتفي بالإحالة على هذه الدراسات=

العظات العشر الأولى، تليها عظة في شرح «الأبانا، وثلاث عظات في المعمودية واثنين في الإفخارستيا»^(٩). أصل هذه العظات اليوناني مفقود، لكنّها حُفظت لنا كاملة في ترجمة سريانية مُبكرة، في مخطوطة فريدة تناقلها تقليد الكنيسة النسطورية المخطوطي^(١٠).

وقد نُقلت عظات القديس كيرلس في وقت مُبكر نسبيًا إلى العربية، فأقدم مخطوط لنصّها العربي يرجع إلى القرن الثاني عشر^(١١). لكنّها لا نعرف شيئًا عن المترجم، أو المترجمين القدماء. أمّا الترجمة العربية الحديثة فقد قام بها الأب جورج نصور ونشرت عام ١٩٨٢^(١٢). في حين

عنه وبيلوغرافياتها:

بولس الفغالي، ثيودورس أسقف المضيق ومفسر الكتب الإلهية، سلسلة «التراث السرياني» ٣، بيروت، دار المشرق، ١٩٩٣، ١٥٢-٢١٥. «Théodore de Mopsuestia» in *DS* 15 (1991) 385-400; «Teodoro di Mopsuestia» in *DPAC* 2, 3382-3386; *Patrologia II*, 405-426; ZAHARPOULOS D., *Theodore of Mopsuestia on the Bible: a Study of his Old Testament Exegesis*, New York-Mahwah, Paulist Press, 1989.

(٩) نُشر النصّ السرياني لعظات ثاودورس في تفسير الأمانة أولًا مع ترجمة إلى الإنكليزية في: MINGANA A., *Commentary of Theodore of Mopsuestia on the Nicene Creed*, Cambridge, 1932. فرنسيّة في: Théodore, *Homélies*, 1-281. وعلى هذه الطبعة نُحِبُّل دانيّا في إشاراتنا.

(١٠) نودّ الإشارة إلى أنّ التسميات الكنسيّة التي تردّ في هذا المقال هي من قبيل الأمانة للنصوص العربيّة القديمة التي ندرسها، ولا تنوي بأيّ شكل تجاهل التسميات المعتمدة حاليًا في إطار العلاقات المكوّنة.

(١١) راجع: GRAF, *GCAL* 1, 335. وقد أتيح لنا الاطلاع على مخطوطين لهذه الترجمة يحويان نصًّا قديمًا مشتركًا: الأول من مطلع القرن التاسع عشر: الفاتيكانيّ - مباط ٢٤٢، وهو ناقص المطلع لكنّ خاتمة النسخ تسميه: «كتاب المواعظ النعانية عشر من قول أبينا القديس كيرلوس بطريرك مدينة الله المقدّسة أورشليم» (١٣٤ظ). أنظر عنه: SBATH, *Bibliothèque*, 1, 115-116. أمّا الثاني فهو الفاتيكانيّ - بورجيا - عربيّ ٧٢، وعنوان هذا المخطوط الذي يضمّ ٣٠١ ورقة: «كتاب القديس كيرلس رئيس الأساقفة الأورشليميّ الذي يحوي على سائر مصنفاته بأسرها». أنظر عنه: TISSERANT E., *Inventaire sommaire des manuscrits arabes du fond Borgia à la Bibliothèque Vaticane*, (Studi e Testi, 41), Roma, 1924, 14.

(١٢) كيرلس الأورشليميّ (٣٨٧م)، المظات، تعريب: الأب جورج نصور، «أقدم»

لا نعرف ترجمة قديمة لعظات ثاوذورُس، وقد حظينا مؤخراً بترجمة ناصعة لها حقّقها الأب بولس الفغالي ونشرها سنة ١٩٩٨^(١٣).

لم ينقطع تقليد تفسير «الأمانة»^(١٤) في تراث المسيحيين العرب القديم، لكنّه لم يعد مرتبطاً بالإطار العماديّ التعليمي، بل اتخذ أطراً أدبيّة ولاهوتيّة جديدة، يغلب عليها عمومًا الهدف والأسلوب الدفاعيّ، اللذين يطبعان برّسيميّهما التاج اللاهوتيّ العربيّ بكامله. وقد بقي لنا من هذه التفسيرات أربعة نصوص متفاوتة الحجم، ثلاثة منها لا يُعرف مؤلّفها على وجه أكيد، يرجع أقدمها إلى القرن العاشر الميلاديّ، ولا يتجاوز تاريخ آخرها القرن الثالث عشر أو الرابع عشر.

سوف نقوم في ما يلي باستعراض المعلومات الأساسيّة المتوفّرة لنا عنها، فتقدّم باختصار ما يُعرف عن المؤلّف، ونُدرج نصّ قانون الإيمان الذي يفسّره، ثمّ نصف بنية التفسير وأسلوبه الأدبيّ وأهمّ مواضعه واهتماماته الدفاعيّة، مُضيفين أحياناً بعض الملاحظات المُقارنة التي قد تُفيد في تقدّم الأبحاث في هذا المجال، أو مقطعاً صغيراً مقتطفاً من التفسير للتعرف بشكل مباشر على لغته وأسلوبه التعبيريّ.

=النصوص المسيحيّة/الليتورجيّة، ٢: الكسليك (لبنان)، رابطة معاهد اللاهوت في الشرق الأوسط، ١٩٨٢.

(١٣) ثيودورُس أسقف المضيق، العظات التعليميّة، تعريب: الخوري بولس الفغالي، سلسلة «التراث الروحي»، بيروت، دار المشرق، ١٩٩٨.

(١٤) «الأمانة» هي اللفظ الأكثر استعمالاً في النصوص العربيّة القديمة للدلالة على «قانون الإيمان» عند النصارى. وهذا يشابه مع استعمال كلمة «مصحح» (مُصَنَّن) السريانيّة المُعادلة لها مبنى ومعنى. ويشهد «تاريخ أبي الفداء»، دون سواه بحسب ما نعلم، عن تداول نسخة عربيّة حرّقة لهذه التسمية: «اليمانوت». أنظر: أبو الفداء إسماعيل بن عليّ عماد الدين الحمويّ (٧٣٢هـ/١٣٣١م)، المختصر في أخبار البشر، ٤ أجزاء، النسخة المطبوعة، ١٢٨٦هـ (١٨٦٩م)، ٩٥/١. لكننا نجد في المخطّط العربيّ تسميات أخرى مثل: «شريعة الإيمان»، «صحيفة الأمانة»، «تبيحة الإيمان» أو «التبيحة» نقلًا عن Ομολογία أو نسختها السريانيّة أممها. راجع مقالنا: مصري، صيغة عربيّة، ١٥-١٦.

١ - «تفسير الأمانة» لساويروس ابن المقفّع أسقف الأشمونين

يُعَدُّ ساويروس ابن المقفّع أوّل كتاب الكنيسة النبطيّة باللغة العربيّة وأهمّهم. لا يُعرَف عن حياته سوى أنّه كان كاتبًا يُكْنَى بأبي بشر، ثمّ ترهّب وصار أسقفًا على الأشمونين في أواسط القرن العاشر الميلاديّ^(١٥). كان له إنتاجٌ غزير في معظم مجالات العلوم الكنسيّة. وقد نُسِب إليه، لشهرته الكبيرة، أهمُّ المصنّفات التاريخيّة الخاصّة بتاريخ الأقباط، وهو الكتاب المسمّى: سِير البيعة المقدّسة أو تاريخ البطاركة^(١٦).

وتفسير الأمانة هو من أوائل كتابات ساويروس، وضعه للمرّة الأولى سنة ٩٥٠م، وبعدَ فقدانه عادَ فدوّنه مجدّدًا سنة ٩٥٥م^(١٧). نُشرَ نفسُ التفسير سنة ١٩١١ بعنوان: تاريخ المعجام: الكتاب الثاني وذلك عن المخطوط الوحيد المعروف آنذاك وهو باريس - عربيّ ١٧١ (١٦١٨م)^(١٨). لكن هل هذا هو بالفعل عنوان الكتاب الحقيقيّ؟ بالتأكيد لا! ولملّ العنوان الأصليّ هو الذي يشته مخطوط القاهرة: تفسير

(١٥) أكمل ما لدينا عن حياة ساويروس وأعماله المخطّطة والمطبوعة، هو مقدّمة الأب سمير في: ساويروس، مصباح، ٧-٣٦ و ٦٨-٧٢. كما يمكن أيضًا مراجعة مقالته عن حياة ساويروس في مجلة: رسالة الكنيسة ٢ (١٩٧٠) ١٠٩-١١٥ و ١٥٧-١٦٤. أنظر أيضًا: لويس شيخو، وزراء النصرانيّة وكتابها في الإسلام، حققه وزاد عليه: كميل حشيش اليرعي، التراث العربيّ المسيحيّ، ١١١، جويّه - روما، ١٩٨٧، ١٦٤-١٦٥. KHOURY, G. CAL 2, 300-318; GRAF, G. CAL 2, 300-318; KHOURY, G. CAL 2, 3 (1971) 909b-910b.

Bibliographie 1, 165-167.

(١٦) راجع عن هذا الموضوع كتاب: DEN HELIER J., *Mawhūb Ibn Mansūr Ibn Mufarrig et l'historiographie copto-arabe. Étude sur la composition de l'Histoire des Patriarches d'Alexandrie*, CSCO 513 (Subsidia 83), Louvain, Peeters, 1989, 93-104.

(١٧) كما يذكر في خانة الكتاب. أنظر: ساويروس، تفسير، ٥٩٠.

(١٨) يبدو أنّه يوجد في القاهرة نسخة أخرى على الأقلّ لهذا التفسير، وذلك في مخطوط: القاهرة - البطريركيّة النبطيّة، لاهوت ٢٣١ (١٦٥٨-١٦٥٩م). راجع: SAMIR K., «Un traité inédit de Sawirus Ibn al-Muqaffa» (10^e siècle): «Le Flambeau de l'Intelligence» in OCP 41 (1975) 164.

الأمانة المقدسة التي ربّها الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفًا، أو باختصار: تفسير الأمانة، كما يسمّيه ساويروس نفسه في كتابه مصباح العقل^(١٩)، أو في لائحة مؤلفاته التي يذكرها صديقه وتلميذه الواضح بن رجا^(٢٠)، وكما يرد ذكره أيضًا في فهرس أبي البركات^(٢١).

تؤكد لنا ذلك أيضًا المعطيات الداخلية، مثل ختام ناسخ المخطوط، الذي يكتب: «كُلُّ تفسير الأمانة وتأويل ألفاظها، والله المجد والمئة...»، وكذلك خاتمة المؤلف نفسه^(٢٢). من جهة ثانية، نلاحظ أنَّ مطلع الكتاب ذاته يبدأ فجأة بالعبارة التالية: «... وهو جمعة من عدّة ألفاظ ومعاني، ليتنفع به المؤمنون بصحتها، ويؤمنون بألفاظها، وسألنا تعريفك السبب في وضعها...»^(٢٣). وهذا المطلع يفترض بوضوح أن يبقه عنوان مثل: «تفسير الأمانة»، فيتعلّق ضميرًا «جمعه» و«يتنفع به» بكلمة «تفسير»، في حين تعود الضمائر الثلاثة الباقية إلى الأمانة. وينطبق الأمر نفسه على عبارات عناوين الفصول التي يذكرها ساويروس في مطلع كتابه (ص ٤٧٢). وأخيرًا، فإنَّ الكاتب يُحيلُ في الفصل الثامن على كتاب آخر له يدعوه كتاب المجامع (ص ٥١٢)، فلو كان اسم هذا الكتاب: «تاريخ المجامع الثاني»، لكان حدّد إحالته بعبارة مثل: كتابنا الأوّل... أو ما أشبه ذلك.

يحتوي هذا الكتاب، الذي يمكنُ اعتباره تكميلًا لكتاب المجامع^(٢٤)، عشرة أبواب. تشكّل التسعة الأوّل منها عرضًا تاريخيًا. أمّا التفسير بالمعنى الحصريّ للكلمة فلا نجده إلّا في الباب العاشر، وهو يعادل حجمًا الأبواب

(١٩) ساويروس، مصباح، ٣٢.

(٢٠) أنظر: SBATH, *Bibliothèque*, 2, 123.

(٢١) أنظر: ابن كير، مصباح الظلمة، ٣٠٦.

(٢٢) أنظر: ساويروس، تفسير، ٥٩٠.

(٢٣) ساويروس، تفسير، ٤٧١.

(٢٤) في هذا الكتاب، يرّد ساويروس خصوصًا على أنثام سميد ابن البطريرك للبياعة بالحياد عن الأمانة المستتعبة، ويعرض ذلك في أربعة أبواب، يرّد كلمة «الأمانة» في عناوين ثلاثة منها. أنظر: ساويروس، المجامع، ١٣١-١٣٢.

التسعة السابقة مجتمعة. ويمكننا أن نختصر محتويات هذه الأبواب بما يلي:
الأول: «صُدِّرَ الكتاب»، وهو مقدمة تمهيدية تعرض باختصار انتقال
الإيمان من العهد القديم إلى الجديد، ومن ثمَّ استبعاد الكنيسة (ص
٤٧٣-٤٧٨).

الثاني: «سبب الاجتماع»، يروي فيه خبرَ هرطقة آريوس، والبليلة
التي نشأت عنها في الكنيسة، وتزامن ذلك مع عهد الاضطهاد (٤٧٨-
٤٨٣).

الثالث: «في أيِّ عصر كانوا وعلى عهد مَنْ اجتمعوا»، يروي فيه
تولِّي قسطنطين الملك ورؤياه للصليب، ثمَّ أمره باجتماع الأساقفة في نيقية
للنظر في أمر آريوس وأقواله (٤٨٣-٤٨٨).

الرابع: «أسماء المشيورين منهم ومدنهم» (٤٨٩-٤٩١).

الخامس: «كيفية وضعها وترتيب ألفاظها»، وفيه عرض سريع
لجوانب هرطقة آريوس التي دعت آباء المجمع إلى إسقاطه بالحرم من
الجماعة، وصياغة الأمانة التي دوَّنوا فيها تعبير الإيمان الحق. ويورد نصَّ
القانون النيقاوي، ثمَّ يُشير إلى الحرومات وباقي قرارات المجمع،
خصوصًا ما يتعلق بتوحيد عيد الفصح (٤٩٢-٥٠١).

السادس: «الرَّدُّ على مَنْ طعنَ فيها»، يورد ساويرس هنا اعترافًا
من مصدر إسلامي على الأرجح، فيقول: «رَأَيْتُ قَوْمًا مِنْ مُخَالَفِينَا قَدْ
طَعَنُوا فِي هَذِهِ الْأَمَانَةِ وَقَالُوا: إِنَّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ وَالْثَمْنِيَةَ عَشْرَ أُسْقَفَ، هُمْ
الَّذِينَ وَضَعُوا الْقَوْلَ بِالتَّحْلِيثِ وَدَوَّنُوهُ وَأَذَاعُوهُ فِي مَدَنِهِمْ وَعِنْدَ رَعِيَّتِهِمْ. وَأَنَّ
دِينَ الْمَسِيحِ الَّذِي أَتَى بِهِ هُوَ دِينُ التَّوْحِيدِ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ...»^(٢٥). وبعد
الرَّدُّ على هذا الطعن، ينتقل إلى جواب مُختصر عن اعتراض آخر من
مصدر نسطوري (٥٠١-٥٠٦).

(٢٥) ص ٥٠١. يُذَكِّرنا هذا الاعتراض بما يورده علي بن رُبَّن الطبري من انتقادات على
الأمانة. راجع: علي بن سهل رُبَّن الطبري (بعد ٢٤٠هـ/٨٥٥م)، الرَّدُّ على
النصارى، نشره: KHALIFÉ I.A. & KUTSCH W., «AR-Radd 'ala-N-Nasara
de 'Ali AT-Tabari», *MUSJ* 36/4 (1959) 138.

السابع: «من أين أخذت ألفاظها»، يُرجع فيه كل عبارة إلى مصادرها الكتابية، أو يذكر التعابير الكتابية التي تُشبهها (٥٠٦-٥٠٨).

الثامن: «في افتراق القوم بعدها»، يستعرض باختصار الهرطقات الناشئة في الكنيسة بعد مجمع نيقية، وصولاً إلى نسطوروس ومجمعي أفسس وخلقيدونية (٥٠٨-٥١٨).

التاسع: «كيفية تلاوتها عند سائر الفرق»، وهنا يقارن بين صيغ الأمانة المتداولة بين المذاهب المسيحية. ويقابل خصوصاً مع النص النسطوري للأمانة، فيبرز انفراده بعبارات مثل: «بكر الخلائق»، «حبل به وولده»...، وخلوه من عبارات مثل: «نور من نور»، «المتكلم على ألسن الأنبياء» (٥١٨-٥٢٣).

العاشر: «في تفسيرها وتأويل معانيها»، هنا يبدأ التفسير المباشر الذي يُمكن له ساويروس بعبارة يوضح فيها منهج عمله فيكتب:

... ونحن الآن آخذون في تفسير معانيها وتأويل ألفاظها، على حسب ما يتلوه القبط والروم ومن وافقهم. ونسجده في تبين شأنها، وإيضاح معانيها. وأن يكون ما نأتي به موافقاً لكتب الرسل ومحكم التأويل، ومُشاكلاً لكلام المعلمين وأقوال المفسرين. ليعلم المؤمنون جزالة ألفاظها وإحكام وضعها. وأنها قد جمعت معاني كثيرة نافعة بالغة، [بالفاظ] قليلة يسيرة... (٢٦)

وهو يتبع هذا المنهج في الشرح فعلاً. فيورد أولاً فقرة الأمانة التي ستكون موضوع البحث، مسبوقة بعبارة: «قال المؤمن»، ثم يفتح التفسير بعبارة: «قال المفسر». وهذا ما يُسهّل إلى حد كبير عملية تجميع الفقرات (٢٧) للوصول إلى صيغة الأمانة التالية: (٢٨)

(٢٦) ساويروس، تفسير، ٥٢٢. علامات الترقيم والتشكيل وما بين معقوفين من وضعنا.
(٢٧) نجد هذه الفقرات على الترتيب في الصفحات التالية من: ساويروس، تفسير، ٥٢٣، ٥٢٦، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣١، ٥٣٤، ٥٥٥، ٥٧٥، ٥٧٧، ٥٧٩، ٥٨٢، ٥٨٤، ٥٨٦.

(٢٨) لقد فضلنا الاستناد إلى هذا الجزء من التفسير لإعادة تركيب نص الأمانة، لما لذلك =

أؤمن بإله واحد، الآب مُمسك الكل، خالق السماء والأرض،
 ما يُرى وما لا يُرى. وربُّ واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد،
 المولود من الآب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق،
 مولود غير مخلوق، مساو الآب في جوهره، وبه كان الكل. [الذي]
 من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا، نزل من السماء، وتجسّد من
 روح القدس ومن مريم العذرى، وصار إنساناً، وصُلِبَ من أجلنا على
 عهد بلاطس البنطي، رتّل وفُيِّر وقام في اليوم الثالث كما في
 الكتب، وصعد إلى السماء وجلسَ عن يمين أبيه، وهو أيضاً يأتي
 بمجده ليدين الأحياء والأموات، الذي ليس لملكه انقضاء. وبروح
 قدس واحد، الربُّ المحيي، الفاضل من ذات الآب. نسجدُ له
 ونمجّده مع الآب والابن، المتكلّم على ألسن الأنبياء. وببيعة واحدة
 جامعة رسولية. ونقرّ بمعمودية واحدة لغفران الخطايا. ونتوقّع قيامة
 الأموات والحياة الدائمة الأبدية، آمين.

ويعود ساويروس في معرض الشرح إلى تقسيم العبارة مجدداً إلى
 وحدات أصغر. فالفقرة الأولى: «أؤمن بإله واحد، الآب مُمسك الكل»،
 يُفصّل تفسيرها في أربعة مقاطع: الإيمان، الله الواحد، الآب، ومُمسك
 الكل. وكذلك الأمر عموماً في الفقرات اللاحقة.

أما مضمون التفسير، فيتركز بشكل خاص على الكتاب المقدس،
 الذي تردّ آياته غزيرة، نصّاً وتلميحاً. ويستشهد بالعديد من آباء الكنيسة
 ومعلميها، مُوردًا مقاطع كاملة من كتاباتهم. والطابع الغالب عليه دفاعي
 وجدالي، يهتم على وجه الخصوص بالردّ على الهرطقات الكبرى في

=من فرصة أكبر في الانتداب من عبارات ساويروس ذاتها. إذ إننا نجد نصّ القانون
 في الفصل الخامس أيضاً. مُدرّجاً في رواية أحداث مجمع نيقيّة (ساويروس،
 تفسير، ٤٩٤-٤٩٥). ونشأ ثالثاً في كتاب المجامع، في معرض الحديث عن
 الموضوع نفسه (ساويروس، المجامع، ١٦٢-١٦٣). وعلى الرغم من الشابه
 الأساسي بين هذه النصوص، إلّا أنّه لا يمكن تجاهل بعض الاختلافات في
 التعابير. أنظر محاولة إعتاد نعلّ موحد مع الإشارة إلى الاختلافات في الحواشي

عند: DOSSETTI, *Simbolo* 202-203.

تاريخ الكنيسة، كالنظرية والآريوسية، بدون أن يميل بالطبع، تنفيذ مقولات فرق عصره المسيحية وغيرها.

ومما يجدر ذكره أخيراً أن أبا البركات بن كبر^(٢٩) قد اختصر محتوى الفصل العاشر هذا، في الباب الثاني من موسوعته مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة، تحت عنوان: «مختصر من شرح الأمانة»^(٣٠)، وهو تلخيص أمين إلى حد كبير لنص ساويرس، ينقله حرفياً في كثير من المواضع، لكنه يستغني فيه بشكل خاص عن كثرة الشواهد الكتابية، التي سبق أن أوردتها بالتفصيل في الفصل السابق من الباب نفسه.

٢ - «تفسير الأمانة الكبيرة» المنسوب إلى إيليا النصيبى

إيليا النصيبى (٩٧٥-١٠٤٦م)، هو أشهر أعلام النساطرة وكتابهم في القرن الحادي عشر الميلادي. وُلد في بلدة السن وترهب في دير الملاك ميخائيل بالقرب من الموصل، وصار مطراناً على نصيبين سنة ١٠٠٨م. له كتابات عديدة، أشهرها تاريخه ومجالسه مع الوزير أبي القاسم الحسين بن علي المغربي^(٣١).

(٢٩) أهم أعلام الكنيسة النسطورية وكتابها في القرن الرابع عشر (ت ١٣٢٤م). كان كاتباً ذا مقام مرموق، ثم اعتزل المناصب وصار كاهناً. إشتهر ببلغته وخطبه المبكرة، لكن أهم مؤلفاته هي الموسوعة الدينية الشاملة التي وضعها في ٢٤ باباً وتشمل مختلف مواضيع الإيمان والثقافة المسيحية في عصره. راجع عن حياته وأعماله: GRAF, *GCHL* 2, 438-445. ومقدمة الأب سمير مع المراجع الأساسية في: ابن كبر، مصباح الظلمة، ج-ي. وهي طبعة جزئية لهذه الموسوعة كما هي أيضاً طبعة PO XX/4

(٣٠) ابن كبر، مصباح الظلمة، ٤٩-٥٨. وهو يورد، قبل هذا المختصر، فصلاً فيه يذكر نص الأمانة الأرثوذكسية... والشواهد على ألقاها من الكتب الإلينية (ص ٤٠-٤٨). وهو يُنبئ، بغاية، الفصل السابع من كتاب ساويرس، لكنه أكثر توشعاً وتفصيلاً في إيراد الشهادات، وإن كان يقتصر مثله على شواهد العهد الجديد دون غيرها.

(٣١) بشأن المعلومات عن حياته والمراجع الأساسية عنه نحيل على: أبونا، أدب اللغة الآرامية، ٣٨١-٣٨٦. SAMIR, *Bibliographie* 3, 257-258.

نشر الأب ع. ك. دبلي حوالى ثلثي نص هذا التفسير، تحت عنوان: كتاب تفسير الأمانة الكبيرة لإيليا برشينيا مطران نصيبين^(٣٢). لكن هذه النسبة إلى إيليا لم يتم إثباتها بشكل قاطع، إذ يُنسب تفسير الأمانة هذا في مخطوطين حديثين نسبياً (القرن ١٦) إلى إيشوعيا بن ملكون مطران نصيبين، الذي ازدهر أدبياً في النصف الأول من القرن الثالث عشر^(٣٣)، في حين تورده المخطوطات الباقية (وأقدمها من القرنين ١٢-١٣م) من دون ذكر صريح لاسم كاتبه، بعد مجالس إيليا النصيبين^(٣٤). ولهذا ينقسم الباحثون في نسبه، أو يترددون في الجزم بحقيقتها، قبل تفرع عناصر جديدة يمكنها أن تُرجح كفة أحد الطرفين^(٣٥).

يقدم تفسير الأمانة الكبيرة، على الرغم من انتضابه، مُختصراً واضحاً وبتيناً للإيمان المسيحي، مُعبّراً عنه بلغة عصره واستجابة لحاجات مؤمنيه. وينقسم نص الأمانة في هذا التفسير إلى ١٩ فقرة، نجد أولاً نصّها السرياني، ثم ترجمتها إلى العربية، مسبوقاً بعبارة: «التفسير»، ويأتي بعد ذلك شرح الفقرة، مسبوقاً بعبارة: «التأويل»، وهو يتفاوت في الحجم بشكل كبير بين فقرة وأخرى، ففي حين لا يتعدى تفسير بعض الفقرات السطر الواحد، يبلغ في الأخرى عدّة صفحات.

(٣٢) في ثلاث مقالات من مجلة النجم ١٤ (١٩٥٤) ٦٨-٧٢ و ١٢٠-١٢٤ و ١٦١-١٦٦. (٣٣) وهذا ما دفع غراف إلى تصنيفه مع مؤلفات هذا الكتاب. أنظر: GRAF, *GCAL* 2, 208. عن حياة إيشوعيا ومؤلفاته يمكن مراجعة نبذة: أبرنا، أدب اللغة الآرامية، ٣٩٠-٣٩١.

(٣٤) يختم ناسخ المخطوط الفاتيكاني - نيوفيطي ٥٢ تدوين تفسير الأمانة بعبارة يرد فيها: «... أن نكتب هذا الكتاب الذي يُسمى كتاب المجالس وشرح الأمانة الذي ألّفها الثلاثمائة والثمانية عشر، الذي هو من قول مار إيليا مطران نصيبين، صلواته وبركاته مع الكاتب والقارئ...». ورقة ٨٣ ظ. راجع: عثمانويل دبلي، «إيليا برشينيا مطران نصيبين (ت ١٠٤٦م)»، بين النهرين ١١ (١٩٨٣) ١٧٠ حاشية ٣٩.

(٣٥) أنظر عرض الأب سمير المواقف المختلفة في هذا الشأن، في: SAMIR, *Bibliographie* 3, 282-283. حيث يختم عرضه لمشكلة صحة نسبه بتأكيد ضرورة إجراء المزيد من المناقشات مع كتابات المؤلفين المذكورين للتوصل إلى رأي قاطع في هذا الموضوع.

ويمكننا من تجميع فقرات النص السرياني الوصول إلى صيغة تتطابق بشكل كامل تقريباً مع صيغة الأمانة الليتورجية، الجاري استعمالها حالياً في الكنيستين الشرقية القديمة والكلدانية. وكنا قد أظهرنا في مقال سابق، بعد مقارنة مع نصصرص «قانون الإيمان» المتناقلة في المزلقات الإسلامية القديمة، أن الكنيسة النسطورية القديمة لم تعتمد نصاً عربياً رسمياً لأمانتها، بل بقي النص السرياني هو الأصل والمرجع، وهذا ما يفسر التفرع الهام في العبارات والمفردات الذي نجده في الصيغ العربية المتداولة^(٣٦).

أما النص العربي الذي يشج عن تجميع فقرات التفسير، فيمكننا من التوصل إلى الصيغة التالية، التي تتميز بترداد ثلاثي لصفة «الواحد»، فضلاً عن العبارات المميزة للأمانة بحسب التقليد النسطوري:

نؤمن بالواحد الله، الأب، الذي في قبضته كل شيء، صانع ما يرى وما لا يرى. والواحد الرب يسوع المسيح بن الله، الوحيد بكر كل الخلائق، الذي ولد من أبيه قبل كل العوالم، ولم يصنع. إله حق من إله حق، ابن جوهه أبيه وكيانه. الذي بيده أُنشئت العوالم وأُحكمت، وخلق كل شيء. الذي من أجلنا نحن بني البشر، ومن أجل خلاصنا، نزل من السماء، وتجسّم من روح القدس، وصار إنساناً. وحيل به وولد من مريم البتول. وألم وصليب، في أيام قنطيرس فيلاطس، ودُفن، وقام بعد ثلاثة أيام، كما هو مكتوب وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين أبيه. ثم إنه مُزمع بالتزول والمعجب، لمداينة الأموات والأحياء. وآمناً بالواحد روح القدس، روح الحق، الذي هو فائض من الأب، روح مُحيي. وآمناً بالبيعة الواحدة المقدسة الرسولية الجامعة. ونحن مُعترفون بالصيغة^(٣٧) معمودة واحدة لغيران

(٣٦) راجع النتائج التي توصلنا إليها في مقالنا: مصري، صيغة عربية، ٢٤-٢٦.

(٣٧) إن الفقرات الثلاث الأخيرة من النص العربي التي تنص في القائيكاني - عربي ١٤٣، تنم على اضطراب وتكرار في العبارة (مثل: ونحن معترفون بالصيغة بمعمودة...)، وربما على استعمال مفردات حديثة في نقل الأصل السرياني (مثل: رسولية وجامعة). وهذا يجعلنا نفترض تدخلاً من الناسخ لتكميل نقص=

(YΛ)

في سياق التفسير، يلجأ المفسر مجددًا إلى تقسيم الفقرات الأكثر توسُّعًا إلى عبارات صغيرة نسبقها كلمة: «وقولهم»^(٣٩). وتوسُّع في الشرح خصوصًا عند التعليق على الفقرات: «ونؤمن بالواحد الرب... بكر كلِّ الخلاق»، و«تجسَّم... وصار إنسانًا»، و«صعد... عن يمين أبيه».

التفسير عموماً ذو طابع لاهوتي وتعليمي، يكثر من التشابه، ويكرّر بعضاً منها في أكثر من موضع بطريقة تحمل طابع الإلحاح^(٤٠). وهو يشهد بالكتاب المقدس وحده، لكن من دون أن يكثر من الشهادات. والمذهب الوحيد الذي يهتم بالرد عليه هو العقويّة، فيذكرها بالاسم مرّتين: الأولى في تفسير الفقرة الرابعة، إذ يقول: «وجمعوا في هذا القول الواحد لاهوت سيّدنا وناسوته، رداً على من كفر بأحديهما، كالعقويّة

=الأصل باجتياد شخصي أو بالاستعانة بنسخة أخرى أحدث عهداً من المخطوط. وهذا الافتراض يدفع إلى الاحتمال أن يكون نصّ التفسير في مخطوط ثيوفيطي ٥٢ منفرداً عن القانبيكاني - عربي ١٤٣، فممكنًا فعلًا كما يقول الأب ديلي. راجع: DELLY E.-K., *La théologie d'Elie bar-Senaya. Études et traduction de ses Entretiens*, (Studia Urbaniana, 1) Rome, 1957, 69-70. ومُلاحظة الأب سمير

في : SAMIR, *Bibliographie* 3, 282-293.

(٣٨) يَتَقَنَّ ترداد صفة «الواحدة» مع فصل الجزء الأول من الأمانة الذي نجله مذكورًا في المجلس الأول لإبليلا النصيبي على لسان الوزير المغربي، لكنه يختلف عنه في بعض تعابيره الأخرى. نورد هذا المقطع لتبجير المقارنة:

نؤمن بالواحد الله، الأب حاوي الكل، خالق ما يرى وما لا يرى. وبالواحد الرب
إشوع المسيح، ابن الله، الوحيد بكر كلّي الخلايق، المولود من أبيه قبل الدهور،
وليس بمخلوق، إله حق من إله حق، ابن جوهر أبيه. إيليتا، المجلس الأول،
١١١

(٣٩) نجد مثلاً في تفسير الفقرة الثالثة: «وقولهم الواحد»، ثم: «وقولهم الرب إشعيا». إيتا، تفسير، ١٢١. كذلك في تفسير الفقرة التالية نجد: «قولهم الوحيد»، وبعدها: «وقولهم بكر الخلائق». إيتا، تفسير ١٢٣.

(٤٠) نجد التشبيه بالشمس وشعاعها وحرارتها سبع مرّات، وذلك في الفقرات: ١، ٣، ٤، ٥، ٦، ٨، ١٣، ١٦. (إيليا، تفسير، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٣، ١٦٢، مرثان، ١٦٤، الثابجاكني - عربي ١٤٣، ١٤٤، نيونيطي ٥٢، ٨٢و).

يُقال: «قد جلس فلان عن يمين فلان» أي على أمره وتدبيره. لأن الله (عز وجل!) جعل ابنه خليفته.

كما يقول الإنجيل إن الله قال في المسيح: «هذا ابني وحبيبي فله اسمعوا وأطيعوا»^(٤٥). والمسيح قد قال في نفسه بعد القيامة: «قد وهب لي كل سلطان في السماء والأرض»^(٤٦). ودانيال النبي يشهد على هذا حيث يقول: «إنه أوري في الرؤيا الرب (عز وجل!) جالساً على كرسيه، وملائكة [١٤٤] السماء واقفة قدامه، وأنه أوتي (الله) بإنسان، يعني ناسوت المسيح، وأعطاه السلطان والملك والعظمة، وأمر أن تعبده جميع الشعوب والأمم والألسن»^(٤٧). فهذا معنى قول الآباء إنه جلس عن يمين أبيه. كما قال داود النبي: «قال الرب لربي اجلس عن يميني»^(٤٨).

فليعلم من قرأ هذا الكتاب أن هذه الحركات، من الصعود والنزول والجلوس، إنما هي لناسوت المسيح المتحدة بلاهوته، وإنما [١٤٤] نالت الناسوت هذا الشرف كله باللاهوت التي اتحدت بها، ولا يُنسب إلى كل واحد من جوهرية إلا ما يجوز أن يُنسب إليه عند التحقيق^(٤٩).

٣ - شرح أمانة آباء مجمع نيقية الثلاثمائة والثمانية عشر

لم يحفظ لنا التقليد المخطوطي ذكرًا لعنوان هذا التفسير أو لاسم مؤلفه، فالنسخة الوحيدة الباقية لنا منه، والمحفوزة في مجموعة الأب بولس سباط^(٥٠)، منقولة عن أصل ناقص المطلع كما يشهد الناسخ،

(٤٥) متى ٥/١٧.

(٤٦) متى ١٨/٣٨.

(٤٧) راجع: دانيال ١٣/٧-١٤.

(٤٨) مز ١/١١٠.

(٤٩) نلاحظ تأنيث لفظي اللاهوت والناسوت، على خلاف الاستعمال الحالي. ويبدو أن التأنيث هو الأقدم بتأثير الأصل السرياني الذي نُسخ عنه التعبير.

(٥٠) حلب - سباط ١١٣٩ والمخطوط اليوم محفوظ في خزانة جمعية جورج وميلند صالم الخيرية بحلب. راجع عنه: SBATH, *Bibliothèque* 3, 6-10; GRAF, *GCAL* 2, 190-

191; SAMIR, *Bibliographie* 2, 223-224.

وكذلك هو حال المخطوط الثاني الذي شاهده الأب سباط ووصفه في فهرسه^(١) لكنه حفظ لنا العنوان الذي أثبتناه أعلاه. وقد سمحت لنا دراسة قرائن النص الداخلي، ومقارنة الكتاب والأعلام الذين يستشهد بهم، والأحداث التي يروي منها أطرافاً في سياق تفسيره، بأن نُرجعه، على أغلب الاحتمالات، إلى أحد علماء النساطرة البغداديين، في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي.

وتفسيرنا هذا واحد من المؤلفات ذات الطابع الموسوعي السائد في عصره، التي تطمح إلى أن تجمع بين دفتين، أطراف كافة المسائل الفكرية واللاهوتية التي يحتاج المؤمن إلى معرفتها، أو يلزمه الرجوع إليها، إذا دبَّت الشكوك في نفسه، أو استنفضت إيمانه تساؤلات الآخرين واعتراضاتهم. فيتخذ كاتبنا من نص الأمانة ناظماً لعقد مجموعته، وينسج على منوال من سبقه في تفسيره، فينممه إلى فقرات صغيرة عبارات أصغر، يجعل من شرح كل واحدة منها مدخلاً إلى طرق مجمل المواضيع التي تمت بصلوة قريبة أو بعيدة إلى ما تحمله من مدلولات. وعلى هذا المنهج، فإنه يجعل من تفسير كلمة «الواحد» انطلاقة لمجموعة واسعة من الحجج والشهادات على «توحيد النصارى»؛ ومن معنى كلمة «الآب» فاتحة الخوض في غمار الكلام على التثليث؛ ومن شرح عبارة «ابن الله» مقدمة لبحث مطول في الاتحاد والحلول؛ ومن التعريف «بالمعمودية» بداية لاستعراض مجمل القضايا المتعلقة بالطقوس والعبادات المسيحية... وقس على ذلك في سائر الفقرات.

ويستفيد كاتبنا، كما يبدو، من «مكتبته» القيمة والمتنوعة المصادر. فيستشهد ببعض المؤلفات الفلسفية، وبالعديد من الكتابات الإسلامية المرجعية. لكنه يستقي مواد تفسيره على وجه الخصوص من المصنفات المسيحية العربية الشهيرة. فيعتمد كثيراً على كتاب المجدل، بدون أن

(١) SBATH, *Fihris* 3, 175 n° 2252 وهذا المخطوط، مثله مثل سائر مخطوطات الفهرس، هو اليوم بحكم المفقود!

يتقيد مثله بالخطاب المُسَجَّع، وعلى كتابات إيليا النصيبى المختلفة،
مُعتنًا في أغلب الأحيان بتطويرها، فيُضيف إليها ما يُعزِّزُ البيان في
الموضوع المطروق، أو ما يُعبِّرُ بمقدار أكبر عن غاياته الدفاعية أو
اللاهوتية. وحر، وإن كان يعتمدُ في المقام الأول على مصادر من تقليده
النسطوري، إلا أنه لا يُهَوِّلُ الاستعانة بما أبدعهُ أعلامُ الفِرَقِ المسيحية
الأخرى. فجدُّه يستقي من كتابات أبي قُرَّة الملكى، وابن عديّ اليعقوبى،
رسواهما. فيستشهد بقولٍ من هذا، ويُخصِّصُ مقطعًا من ذلك، ويتوسَّعُ في
فصل من الآخر، ليُتمِّمَ تشييد أركانٍ تفسيره بأمتنٍ ما قد خلفَ السلفُ من
موادِّ البَيان.

لكنَّ اعتمادَه الواسِعَ على المصادر، لا يعني بالضرورة أنه أسيرٌ لها،
أو أنه يكتفى بتجميعها وتعديلها والتعليق عليها. فهو، إلى جانب الحرية
الملحوظة التي يتعاملُ بها مع العناصر السابقة له، يُبدي في مواضع كثيرة،
ملاحح خاصة به، وأغراضًا منهجيةً وفكريةً تُميِّزُ عمله. من بين هذه
المُميَّزَات، نذكرُ على وجه الخصوص اهتمامه الشديد بصياغة خطاب
كلامى، يمكنُ لباحثٍ مُستفهِمٍ من المُسلمين، أو لمُجادلٍ نصرانيٍّ تُعوزُه
الحُجَّة، أن يعثرَ فيه على بعضٍ من ضالَّته المنشودة. فهو يحرصُ مثلاً على
أن يرفِّقَ الشهادات الكتابية، التي كثيراً ما يوردها توطيداً لتفسير كلِّ فُترةٍ
من فُترات الأمانة، بمجموعةٍ من الشهادات القرآنية الملائمة، التي تخدمُ
برأيه الغاية ذاتها. ونراه، من جهةٍ ثانية، لا يكفُ عن مُقارَنة التعابير
اللاهوتية التي يستعملُها، بما يُقابلُها من مُصطلحاتٍ أو مُفرداتٍ،
يستخدمُها الخطابُ الدينى الإسلامى، أو جرَّت العادة بالتعبير بواسطتها
عند المُتضلعين من اللغة العربية في زمانه.

ينبع المؤلف في تفسيره الطريقة التقليدية التي تقومُ على شرح النصِّ
عبارةً عبارةً فكلمةً كلمةً. ولهذا فإنَّ نصَّنَا ينقسمُ إلى ثماني عشرة وحدة
أدبيةً تتناسب مع تقسيمِ نصِّ الأمانة إلى ثماني عشرة فقرة. يُضافُ إليها
مقطعٌ أخيرٌ يجمعُ قضايا متنوعة. لكنَّ التفاوت الكبير في أحجام الرُحَدَاتِ
التفسيرية هذه، وغازاة المواد التي يجمعها صاحب التفسير، جعلنا نميلُ

إلى تقسيم النصّ بأكمله إلى أربعة أقسام كبيرى، متوازنة الحجم، ويتمحور كلٌّ منها بشكل عامٍّ حول موضوع واسع واحد: القسم الأول ثالوثيٌّ، يتناول مألّتي التوحيد والتثليث. والقسم الثاني خريستولوجيٌّ، يبحث في الاتحاد والتجسّد. والقسم الثالث خلاصيٌّ، يدور حول محور الصلب والقيامة. والقسم الرابع كنسيٌّ، يتناول قضايا شريعة الروح الجديدة والطقوس والتقاليد الكنسيّة. يلي كلّ ذلك ملحق يضمُّ قضايا متفرّقة.

يفتح مفسّرنا عادةً شرحه للفقرة المعنيّة، بعبارة احتفاليّة تُشيد بأباء المجمع الذين صاغوا نصّ الأمانة، ثمَّ يورد الفقرة التي ينوي تفسيرها. ويعود في ما بعد إلى ذكر كلّ كلمة من كلماتها تقريباً في سياق تفسيره، مُميّزاً ذلك في أغلب الأحيان بعبارة «وقولهم». فمن تتبّع وتجميع هذه الفقرات والكلمات، يمكننا أن نحصل على النصّ الكامل التالي للأمانة التي يتناولها كاتبنا بالشرح:

[نؤمن بالله الواحد، الآب ماسك الكلّ] خالق كلّ شيء، ما يُرى وما لا يُرى، وبالواحد الربّ يسوع المسيح ابن الله، الوحيد بكر الخلائق، المولود من الآب قبل كلّ الدهور [وليس بمخلوق]، [إله حقٌّ من إله حقّ، ابن جوهر أبيه] الذي بيده أُتِمَّتِ العوالم وكُوِّنت الأشياء. الذي من أجلنا نحن معشر البشر، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسّم من روح القدس وصار إنساناً، وحُبلَ به ووُلِدَ من مريمَ البتول، [وصُلبَ في أيّام فسطاطس فيلاطس] وتألّم ودُفِنَ وقامَ حيّاً بعد ثلاثة أيّام كما هو مكتوب. وصعدَ إلى السماء وجلسَ عن يمين الآب في العلاء. وأيضاً يأتي بمجده لمُدايِنَةِ الأحياء والأموات. وروح القدس الواحد، روح الحقّ المُنبعث من ذات الله، روح مُحيي. وبيعةً واحدةً مُقدّسةً رسولّةً جاثليقيّةً. ونؤمن بمعموديّة واحدة لفُقران الخطايا. وقيامة أجسادنا، وبالحياة الدائمة الأبدية.

وها نحن نورد من نصّ التفسير الفقرة الخاصّة بشرح عبارة: «ماسك الكلّ»^(٥٣):

(٥٣) حلب - سباط ١١٢٩، ٤٢ ظ-٤٣ و.

وقولهم: «مايك الكُل»

مَنك الأمر، عبارة عن ضبط الشيء عن الإخلال وحضره بضم
أجزائه عن الانحلال. والكُل، اسمٌ لمجموع أجزاء الشيء^(٥٣)، مُفْرَدُ
اللفظ، معناه الإحاطة والعموم^(٥٤). وعند الفلاسفة، إنَّ الكُلَّ صورةٌ كُلِّيَّةٌ
مَرجوذة في العقل، شأنُ العقل أن يُحَقِّقَ وجودها بأن يطبقها^(٥٥) على ما
منه انتزعها لتحقيق الوجود^(٥٦). والكُلُّ ما هنا يُشيرُ به إلى العالم^(٥٧).
والعالم هو السماء، والمَحَوِيُّ^(٥٨) للسماء.

(٥٣) في الأصل: لشي

(٥٤) نجد عند الجرجاني هذا التعريف: «الكُلُّ في اللغة اسمٌ لمجموع المعنى ولفظه واحد،
وفي الاصطلاح ما يتركَّب من أجزاء». علي بن محمَّد بن علي الجرجاني (٨١٦هـ/
١٤١٣م)، كتاب التعريفات، طبعه: غ. فلوجل، ليزغ، ١٨٤٥، ١٩٥.

(٥٥) في الأصل: يضبُّها

(٥٦) يكتفي الكندي في تحديد «الكُلِّ» بالقول بأنَّه مُشْتَرَكُ المُشْتَبِه الأجزاء وغير المُشْتَبِه
الأجزاء. أبو يوسف يعقوب بن اسحق الكندي (حوالي ٢٥٥هـ/٨٧٠م)، رسالة في
حدود الأشياء ورسومها، نشرها: ALLARD M., «L'épître de Kindî sur les
définitions», in *Bulletin d'Études Orientales* 25 (1972) [Damas 1973] 65.

(٥٧) يُحدِّد ابن سينا العالم بالتعريف التالي: «العالم هو مجموع الأجسام الطبيعيَّة البسيطة
كلُّها. ويُقال عالم لكلِّ جملة موجودات مُتجانسة، كقولهم: عالم الطبيعة، وعالم
النفس، وعالم العقل». أبو علي الحُسَيْن بن عبد الله ابن سينا (٤٢٨هـ/١٠٣٧م)،
رسالة في الحدود، في: تسع رسائل في الحكمة والطبيعات، القاهرة، مكتبة هندية،
د. ت، ٩١. والتراؤف في استعمال كلمتي «الكُلُّ» و«العالم»، شائع في العديد من
الكتابات الفلسفيَّة القديمة. أنظر مثلاً: رسائل الكندي الفلسفيَّة، تحقيق محمَّد عبد
الهادي أبو ريبة، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٧٨، ط ٢، ٥٠-٥٢ و١٤٥. كما
نجد أيضاً عند الشهرستاني، الأقرب عيداً إلى مُفْرَدنا، حيثُ يستخدم في أكثر من
موضع كلمة «الكُلُّ» بمعنى «العالم»، انظر على سبيل المثال كلامه عن: «صدور نظام
الكل وترتيبه» إذ يقول: «ترتب العالم كله، علويَّة وسفليَّة، على نظام واحد. وصار
النظام في الكل محفوفاً بعناية المبدأ الأوَّل على أحسن ترتيب وأحكم قوام». أبو
الفتح محمَّد بن عبد الكريم الشهرستاني (٥٤٨هـ/١١٥٣م)، الطلي والنحل، تحقيق:
محمَّد بن فتح الله بدران، القاهرة، مطبعة الأزهر، ١٩٤٧، ٤٦/٣-٤٨.

(٥٨) في الأصل: المحوِّية. وقراءتنا المَحَوِّيَّة: إسمٌ مفعول من حَوَّى. والمقصود
بالعبارة: ما تحويه السماء. كما نجد في فترة لاحقة: «إلا أنَّ العالم مُتناه. فهو
آه مُرَكَّب من السماء، ومن الأشياء التي تحتوي عليها السماء».

وذلك أَنَّ اللهَ رَبَّ عَلَى الموجوداتِ. وأَقْرَبُهَا إِلَيْهِ الْعَقْلُ الْكُلِّيُّ،
لأنَّه أَلَطُّ الْجَوَائِرِ وَأَفْضَلُهَا. وجعلَ ما يَلِيهِ النَّفْسَ لما بَيْنَهُما من
المُشَابَهَةِ والمُشَاكَلَةِ^(٥٩) واللطافة. [ثمَّ] الأَجْرَامَ السَّمَاوِيَّةَ لما بَيْنَهَا من
المُشَارَكَةِ فِي الْحَيَاةِ^(٦٠) والنُّطْقِ والحَرَكَةِ الذَّاتِيَّةِ. ثُمَّ النَّارَ، لما^(٦١) بَيْنَهَا
وَبَيْنَ الأَجْرَامِ السَّمَاوِيَّةِ مِنَ الاتِّصَالِ بِالْحَرَكَةِ الذَّاتِيَّةِ. والهَوَاءَ، لما^(٦٢) بَيْنَهُ
وَبَيْنَ النَّارِ مِنَ المُشَارَكَةِ فِي الطَّبِيعَةِ، أعني الحرارة. ثُمَّ [الماءَ] لما بَيْنَهُ
وَبَيْنَ الهَوَاءِ مِنَ المُشَارَكَةِ فِي الطَّبِيعَةِ، أعني الرُّطوبَةِ. ثُمَّ الأَرْضَ لما بَيْنَهَا
وَبَيْنَ الماءِ مِنَ المُشَارَكَةِ فِي الطَّبِيعَةِ، أعني البَرْدِ. وواصلَ بَيْنَ كُلِّ مِنْهَا^(٦٣)
وَمَثَلِيهِ بِالطَّبِيعِ، حَتَّى رَنَطَ الْعَالَمَ بِأَسْرِهِ، وسائِرَ الموجوداتِ المَعْقُولَةِ
والمَحْسُوسَةِ، رِبَاطًا صَحِيحًا عَائِدًا إِلَيْهِ بِنَهَائِيَّتِهِ^(٦٤). وَلَمَّا كَانَ الْعَالَمُ
مُرْتَبِطًا بِهِ تَعَالَى، لَمْ يَجُزْ^(٦٥) أَنْ يَكُونَ مُفَارِقًا لَهُ، وَلَوْ كَانَ مُفَارِقًا لَهُ لَبَطَلَ
قِيَامُ الْكُلِّ. فَوَاجِبٌ أَنْ يَكُونَ اللهُ مُتَّصِلًا بِهِ، وسَارِيًا فِي جَمِيعِهِ.

فلِهَذَا قَالُوا: «مَا يَكُنِي الْكُلُّ»، وَخَرَجُوا بِذَلِكَ عَنِ الطَّوَائِفِ مِنَ
الْفَلَّاسِفَةِ الْقَدَمَاءِ الَّذِينَ احْتَقَدُوا، كَمَا بَيَّنَّا، أَنَّ الْعَالَمَ مَا يَكُنِي^(٦٦) نَفْسُهُ

(٥٩) «المُشَاكَلَةُ هِيَ اتِّفَاقُ الشَّيْئَيْنِ فِي الْخَاصَّةِ، كَمَا أَنَّ الْمُشَابَهَةَ اتِّفَاقُهُمَا فِي الْكَيْفِيَّةِ،
وَالسَّوَادَةُ اتِّفَاقُهُمَا فِي الْكَمِّيَّةِ، وَالْمُتَّابَعَةُ اتِّفَاقُهُمَا فِي التَّوَعُّفِ...». أبو البقاء أَيْوُبُ
بْنُ مُوسَى الْحُسَيْنِيِّ الْكَتَنْدِيُّ (ت. ١٠٩٤هـ/١٦٨٣م)، الْكَلِّيَّاتُ: مَعْجَمٌ فِي
الْمَصْطَلَحَاتِ وَالْفُرُوقِ اللَّفْظِيَّةِ، ٥ أَجْزَاءً، إِعْدَادُ: عِدْنَانُ دُرُوشِ وَمُحَمَّدُ
الْمَصْرِيُّ، دِمَشْقُ، وَزَارَةُ الثَّقَافَةِ، ١٩٧٤-١٩٧٦، ٢٥٣/٤.

(٦٠) فِي الْأَصْلِ: الْحَيَاتِ.

(٦١) فِي الْأَصْلِ: النَّارِ.

(٦٢) فِي الْأَصْلِ: مَا.

(٦٣) فِي الْأَصْلِ: مِنْهُمَا.

(٦٤) تَبْدُو طَرِيقَةُ عَرْضِ نِظَامِ تَمَاسِكِ الْعَالَمِ السَّابِقَةِ كَمُحَاوَلَةِ تَوْفِيقِ بَيْنِ عَقِيدَةِ الْخَلْقِ
وَمَعْطِيَّاتِ الْفَلَسَفَةِ الْأَفَلَاطُونِيَّةِ الْمُحَدَّثَةِ. وَتَشَابَهَ عَنَاصِرُ السَّلْسَلَةِ الْكُونِيَّةِ الْوَارِدَةِ
فِي نَصْنَا بِشَكْلِ مِلَنَتٍ مَعَ أَحَدِ النُّصُوصِ الْهَرَمِيَّةِ الْعَمْسِيِّ بِكِتَابِ مُعَادَلَةِ
النَّفْسِ. أَنْظَرُ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بَدْرِي، الْأَفَلَاطُونِيَّةُ الْمُحَدَّثَةُ عِنْدَ الْعَرَبِ، الْكُوَيْتُ،
رِكَالَةُ الْمَطْبُوعَاتِ، ١٩٧٧، ط ٢، ٥٧-٥٨.

(٦٥) فِي الْأَصْلِ: يَجْزَا.

(٦٦) إِنَّ اسْتِعْمَالَ تَعْيِيرِ «الْمَك» فِي هَذَا الْإِطَارِ يَتَّفَقُ مَعَ اسْتِعْمَالِ السَّائِدِ فِي الْعِيدِ=

وقائم بذاته لا صانع له، وأنه طبيعة تدبر^(٦٧) نفسها وتنبئ بذاتها.
فتميز^(٦٨) الآباء بذلك عن هذا الضلال الممين. والحمد لله كثيرًا.

٤ - «تفسير الأمانة الأرثوذكسية» لأبي المجدد بن يونس

يلف شيء من الغموض تاريخ هذا التفسير وحيوة صاحبه. فقد نشره
الأب قسطنطين الباشا سنة ١٩٤٠ تحت عنوان: «تفسير قانون الإيمان
لآباء المجمع النيقاوي، تصنيف الأب الناضل العالم المجدلوس مطران
ديار بكر الملكي»^(٦٩). ووجد باشا في اسم «المجدلوس» صياغة يونانية
لاسم عربي هو «الماجد»، وبالاستناد إلى خبر من تاريخ بطاركة أنطاكية
للبطريرك مكاريوس الحلبي خلص إلى أن «مؤلف هذا التفسير كان مطرانًا
عظيمًا... عربي الاسم واللسان أصله من حلب من الروم الملكيين وكان
في القرن العاشر»^(٧٠).

أما غراف فيستند إلى المخطوطين القانيكائي - عربي ١٥٨ (١٣٥٧م)
وبارس - عربي ٢٠٥ (ق ١٤) لينسب التفسير إلى مؤلف قبطي مجهول من
القرن الرابع عشر اسمه «أب المجدد بن يونس»^(٧١). في حين يحاول الأب
يوسف نصرالله التوفيق بين معطيات المخطوطات المتناقضة فيفترض أن
المؤلف ملكي من مصر من القرن العاشر صار في ما بعد أسقفًا على
ديار بكر^(٧٢).

من الكتابات العربية التي ترجع إلى تراث الأفلاطونية المحدثة أو المتأثرة بها،
ونسجم في الوقت نفسه مع طريقة التعبير القرآنية عن سيادة الله على الكون: «إن الله
يُمسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا» فاطر (٣٥) ٤١.

(٦٧) في الأصل: تدبير.

(٦٨) في الأصل: فميزوا.

(٦٩) نُشر تباعًا في مجلة الرسالة المجلد ٧ (١٩٤١)، ثم في كُرَّاس مستقل:
المجدلوس، تفسير، ٦-٣٥. وقد حُقِّق النص عن مخطوط شخصي بعد مُقابلته
مع مخطوطين من دير الشير ومكتبة اليسوعيين، لكن بدون إيراد النروقات النقدية.

(٧٠) المجدلوس، تفسير، ٥.

(٧١) GRAF, GC4L 2, 449-450. راجع:

NASRALLAH, Histoire III/1, 313-314. (٧٢)

لكنَّ الأب سمير يظهر من المقارنة بين المخطوطات أنَّ هناك في الواقع نسختان مختلفتان من هذا التفسير، يتناقلهما التقليد المخطوطي من دون تمييز بينهما^(٧٣).

- نسخة مُختصرة، نجدُها في مخطوطين قبطيين من القرن الرابع عشر، منسوبة إلى القسِّ «أبي المجد ابن يونس» (أو يونس). هدفُها دفاعيٌّ ضدَّ اليهود بشكلٍ خاصٍّ، ويقتصرُ التعليقُ على فقرات الأمانة فيها، على إيراد سلاسل من شهادات العهد القديم، تُبيِّن أنَّ ألفاظها مأخوذة في الواقع من الكتاب المقدس.

- ونسخة مُطوَّلة، تنسبُها مخطوطاتها المتأخرة نسيًا، إلى «القسِّ العالم المجدلوس مطران ديار بكر المتوفى سنة ٩٩٢م». وهي تحوي، إلى جانب الشهادات السابقة، شهادات أخرى من العهد الجديد والقرآن والحكماء اليونانيين، وتفسيرًا تعليميًا لفقرات وتعايير الأمانة.

وُعيِّرَ الأب سمير بوضوح بين النصِّين المختلفين اللذين يتناقلهما التقليد المخطوطي، ويؤكدُ الأصلَ القبطيَّ للنصِّ القصير، المنسوب إلى أبي المجد بن يونس، في حين يفترض كاتبًا قبطيًا من سكَّان الشام للنصِّ المطوَّل، تاركًا مسألة العلاقة بين النصِّين مفتوحة على أبحاث قادمة.

ومن البديهي أنَّ إعداد طبعة نقدية مُقارنة للنسختين، هو السبيل الأسلم الذي يُمكنُ أن يلقي مزيدًا من الضوء على مُشكلة العلاقة بين النصِّين. مع ذلك، ربَّما كان من المفيد مؤقتًا، إبداء هذه الملاحظات، التي كثرَها من مراجعة ومقارنة مخطوطين من المكتبة الفاتيكانية، يتقلان النسختين المختلفتين لهذا النصِّ. الأوَّل هو: الفاتيكانِي - سباط ٧٠١ (القرن ١٧م)^(٧٤)، وهو يحوي نسخة عن النصِّ الطويل، ويتشابه إلى حدٍّ بعيد مع النصِّ الذي نشره باشا، وإن كانَّ يزيد عنه بمقطعين صغيرين

(٧٣) أنظر مُراجعت للجزء الثالث/ ١ من تاريخ الأب نصرانه في: 466- (1985) OCP 51 467.

(٧٤) راجع عنه: SBATH, *Bibliothèque*, 2, 44.

إضافتين. والمخطوط الثاني هو: القاتيكاني - عربي ١٥٨ (١٣٥٧م) ١٤٨ و-١٥٧ ظ^(٧٥)، وهو أقدم المخطوطين اللذين يشهدان على النص المختصر.

أول ما لفت انتباهنا هو المقدمة المرسّعة، نسبةً إلى حجم التفسير، التي تفتح النسخة المختصرة، وغايتها أن تشرح القصد من إنشائه. ثم لا تلبث أن تتحوّل إلى سلسلة من الآيات الكتابيّة التي تذكّر اليهود. والفقرة الوحيدة المشتركة بينها وبين مقدّمة النسخة المطوّلة، هي تلك العبارة الغريبة التي تتكلّم على تأييد المسيح (أو الله) لآباء مجمع نيقية، وحضوره بينهم تأكيداً لوعده لهم بقوله: «ما اجتمع اثنان باسمي إلّا وأنا ثالثهم، ولا ثلاثة إلّا وأنا رابعهم». أمّا في سياق التفسير، فيشارك النصّان في غياب فقرة الأمانة الخاصّة بالكنيسة، وكذلك فقرة الصّلب، التي يكتفي النصّ المختصر منها بكلمة «وصُلب»، مُقحمة بين «وتألّم وقُبر»^(٧٦).

ومع أنّ النصّ المختصر هو عموماً عبارة عن مجموعات مُصنّعة من شهادات العهد القديم، إلّا أنّه يحتفظ مع ذلك في موضعين، ببعض الجمل التفسيرية التي تُقابل ما في النصّ المطوّل.

المرّة الأولى، في تفسير عبارة: «أب ضابط الكلّ، ما يُرى وما لا يُرى». إذ نجد بعدها مباشرة هذا الشرح:

النص الطويل ^(٧٧)	النص المختصر ^(٧٨)
إنّه الأزليّ، ضابط كلّ شيءٍ وماسكه، بقوّته العلويّة وتدابيره الرئائيّة...	المعنى: أنّ ضابط الكلّ هو مابك الكلّ،
ضابط كلّ مصنّعاته بعظمته، ومُدبرهم بعلوّ كلمته، ما يُرى منهم من المحسوسات، وما لا يُرى من المعقولات.	وضابط المحسوسات والمعقولات، ما يُرى من المحسوسات، وما لا يُرى من المعقولات النّيرة منظورة.

(٧٥) راجع عنه: MAIO A., *Catalogus Codicum Bibliothecae Vaticanae*. (Scriptorum: Veterum nova collectio e Vaticanis Codicibus, IV/2), Roma, 1831, 297-299.

(٧٦) القاتيكاني - عربي ١٥٨، ١٥٣ و.

(٧٧) القاتيكاني - سباط ٧٠١، ١ ظ-٢ و.

(٧٨) القاتيكاني - عربي ١٥٨، ١٥١ و.

والجدير بالذكر هنا، أنَّ العبارة الأخيرة تُطابق بالحرف تقريباً، تعبير ساويروس بن المقفّع في تفسيره للأمانة، إذ يكتب: «بعد أن اعترف المؤمن أنَّ واحداً هو الإله، وأنَّه مُمسكُ الكلِّ، خالق السماء والأرض، ما يُرى منها من المحسوسات، وما لا يُرى من المعقولات...»^(٧٩)

الموقع الثاني للتشابه بين النصّين، نجدهُ في مَعْرِض الكلام على الصليب، حيث يستشهد الاثنان برواية نصب الحَيَّة في البرية. وهذه مُقارنة بينهما:

النصّ الطويل ^(٨٠)	النصّ المختصر ^(٨١)
... كما قال موسى إنَّ الله أمره،	... وقال لبي إسرائيل، في الوقت الذي
لما أَكَلَت الحَيَّات بني إسرائيل من كرتيها،	خرجت عليهم الحَيَّات واستفروا بها
قال له: اصنع حَيَّة من نحاس،	وأكلتهم الحَيَّات فمات أكثرهم،
وعَلَّتها على خشبة أمامهم،	فأمره الله أن يصنع حَيَّة من نحاس،
وكلُّ من أكله الحَيَّة،	وعلَّتها أمامهم على هود طويل كمثل الصليب،
يرفع نظره إلى تلك الحَيَّة النحاس،	وقال له: قل لبني إسرائيل:
فيرأ.	إنَّ كلَّ مَنْ أكله الحَيَّة،
عند ذلك تنبأ موسى قائلاً:	يرفع نظره إلى تلك الحَيَّة النحاس،
الحقُّ أقول لكم، إنَّكم ترون مُحييكم	فإنه يرى من سَمِّ الأفاعي المهلكة.
معلّقاً بين أصبتكم ولا تؤمنون!	عند ذلك قال لهم موسى نبؤة:
	أقول لكم، إنَّكم تنظرون إلى مُحييكم
	معلّقاً على خشبة، ولا تؤمنوا به.

ويظهر جليّاً من مقارنة هذين المقطعين، أنَّ النصّ المختصر، وعلى عكس ما يُتوقَّع منه، يتزَعُّ نحو التفسير والتكرار، في حين يبدو الطويل أكثر اقتضاباً وتماصُّكاً. ويبدو لنا بالنتيجة أنَّ افتراض كون النصّ القصير مصدراً للطويل ضعيفُ الاحتمال، وإلَّا فكيف تُنشر في هذه الحال، تخلية مرّتين عن ذكر الصليب النصريح، واكتفائه بعبارة أكثر عموميّة، مع أنَّ الهدف من

(٧٩) ساويروس، تفسير، ٥٢٨.

(٨٠) الثابتيكاني - مياط ٧٠١، ١٠.

(٨١) الثابتيكاني - عربي ١٥٨، ١٥٤.

الاستشهاد برواية الحية النحاسية حر البرغ إلى مفهوم الصليب الذي ترمز إليه؟!!

نكتفي بهذه الملاحظات، ونعود للاهتمام في نبذتنا هذه بالنص الأطول، الذي يستحق وحده لقب «تفسير» الرارد في العنوانين، بالمعنى الدقيق للكلمة^(٨٢). ونبدأ بإيراد نص فقرات الأمانة موضوع الشرح:

نؤمنُ بإله واحد، أب ضابط الكل، خالق السماء والأرض، ما يُرى وما لا يُرى. وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد، المولود من الأب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساوي الأب في الجوهر، الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا، نزل من السماء، وتجسّد من روح القدس ومن مريم العذرى، وصار إنساناً، [وصليب من أجلنا على عهد بلاطس البنطي]، وتألّم وقُبرَ وقام في اليوم الثالث [كما في الكتب]، وصعد إلى السماوات وجلس عن يمين الأب في العلاء، وأيضاً يأتي بمجده ليدين الأحياء والأموات الذي ليس لملكه فناء ولا انقضاء. ونؤمن بالروح القدس، الرب المحي، المنيق [من الأب]، نسجد له ونمجده مع الأب والابن، الناطق بالأنبياء. [وببيعة واحدة جامعة رسولية]. ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا. ونترجى قيامة الموتى وحياة الدهر الآتي، آمين.

يتبع التفسير المنهج العام التالي: يورد الكاتب أولاً فقرة الأمانة، مسبوقة بعبارة: «قال المؤمن». ويذكر أولاً المصدر الكتابي الذي أخذت عنه التعابير المستعملة، مُردداً عبارات مثل: «هذه الكلمة مأخوذة

(٨٢) بدون التقليل في ذلك من أهمية التقليد الذي يمثل نوعاً أدبياً خاصاً، يقوم على تفسير الأمانة بالاعتماد حصراً على الشهادات الكتابية، وذلك بهدف دفاعي واضح، هو إظهار استناد مُجمل حقائق الإيمان المسيحي ونعائيه إلى الكتاب المقدس، في عهد القديم بشكل خاص، عندما يتعلق الأمر بمحيط يهودي كما في التعرّ القصير، أو في العهد الجديد دون سواه. كما نجد مثلاً في الفصل السابع من تفسير ساويروس ابن الصفيح: ساويروس، تفسير، ٥٠٦-٥٠٨. وفي الباب الثاني من موسوعة أير البركات، الذي يستفيد فيه من كتاب ساويروس السابق: ابن كبر، مصباح الظلمة، ٤٠-٤٨.

من...»، «أَمَّا قَوْلُنِي فِيهِ مَاخُذُ مِنْ...»، «رَحِمَهُ الْفَقْلَةُ أَخَذَهَا الْآبَاءُ مِنْ...». والمصادر المذكورة، هي من العهد القديم حصراً. بعد ذلك، نجد تفسيراً مُقتَضِياً، لكنّه مُصاغٌ بعناية بارزة، ذا طابع تعليمي، لكن بدون أن يخلو الأمر من بعض العبارات الجدالية. نقرأ على سبيل المثال، في تفسير الفقرة الثالثة: «فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْمَسِيحَ كَلِمَةُ اللَّهِ مَخْلُوقٌ، وَنَسَبَ تِلْكَ الْكَلِمَةَ الْخَالِقةَ لِلْعِبْرِيَّةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا عَقْلَ لَهُ وَلَا مَعْرِفَةَ بِاللَّهِ، وَلَنْ يَرَى وَجْهَ اللَّهِ، وَلَا لَهُ دُنْيَا وَلَا آخِرَةٌ، وَيَخْلُدُ اللَّهُ فِي الْجَحِيمِ إِلَى أَبَدِ الْآبَدِينَ»^(٨٣). وفي تفسير الفقرة الرابعة: «وَكُلُّ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِذَلِكَ النُّورِ أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ، سَلَكَ فِي الظُّلْمَةِ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِهِ، وَلَا يُشَاهِدُ الْحَقَّ لَا دُنْيَا وَلَا آخِرَةً، لِأَنَّ نُورَ اللَّهِ لَمْ يُضَيَّ فِي عَقْلِهِ»^(٨٤).

تجدد الإشارة إلى أنّه، اعتباراً من الفقرة الثامنة، يبدأ التفسير بترداد عبارة: «اعْلَمْ يَا بَنِيَّ»، أو «اعْلَمْ» لرحدها، فافصلة بين الآية المُشار إليها كمصدر، وبين المقطع التفسيري الذي يليها.

يستعين التفسير على وجه العموم بمجموعة من «الشهادات» الداعمة المتقاة من الكتاب المقدس أو غيره من المصادر. إذ نجد من بينها خمس آيات قرآنية^(٨٥)، وسلسلة من ثمانية أقوال لحكماء اليونانيين تتكلم بمعنى أو بآخر على ظهور الله في العالم^(٨٦).

(٨٣) القاتيكاني - حري ١٥٨، ٣-٣؛ المجلدوس، تفسير، ١١.

(٨٤) القاتيكاني - حري ١٥٨، ٥؛ المجلدوس، تفسير، ١٣-١٤.

(٨٥) هي بحسب ترتيب ورودها في النص: القيامة (٧٥)؛ النور (٢٤)؛ النساء (٤)؛ ١٧١؛ التحريم (٦٦)؛ ١٢؛ النساء (٤)؛ ١٥٨. القاتيكاني - حري ١٥٨، ٤، ٧، ١٤. والمجلدوس، تفسير، ١٣؛ ١٤؛ ١٨؛ ٢٩. ونجد النصّ القرآنيّ المذكوراً بشكل سليم وكامل في الشهادة الرابعة فقط. فيما لا يتعدى الأمر في المرات الباقية، ذكر بضع كلمات من الآية، أو مجرد الإحالة عليها. ونسّى القرآن في الحالات جميعاً: «كتاب الخُفَاء».

(٨٦) لدينا شهادتان من هرمس الحكيم، من كتابه في علم التنجيم المعروف بكتاب التسعة الأفعجار. وواحدة من أفلاطون في كتاب الأسرار. ثم من بواتيرن الحكيم، وأغسطوس الحكيم في علم التنجيم. وثلاث شهادات من أرسطاطاليس، في كتابه «العلوم العلوية»، ورسائله إلى الإسكندر، و«كتابه المسّمى بكتاب».

ملاحظات ختامية

بعد هذا الاستعراض السريع، لمُجملِ تفاسير الأمانة التي وصلتنا عبر التقليد العربي، يُمكننا أن نُبدى الملاحظات التالية:

(١) يتشابه عنوانُ تفاسير الأمانة في الانتساب إلى الآباء «الثلاثمائة والثمانية عشرة» المُجتمعين في نيقية^(٨٧). وهذه النسبة قديمة في التقليد الكنسي، إذ نُصادفها في إحدى رسائل القديس أثناسيوس التي ترجع إلى سنة ٣٦٩م^(٨٨). من جهة ثانية، تتفق التفاسير العربية في خلوها من الطابع التعليمي أو الوعظي المباشر الذي تشترك فيه الشروح الأبائية. الأمر الذي يجعل من تفسير الأمانة غايةً في حد ذاتها، تمتع بإطارها الأدبي الخاص، ويمكنه من تفسير واضح، يركزُ بثبات على نص الأمانة ذاته. أي من دون أن ترتبط، كما هو الحال في التراث الأبائي، ببرنامج تهيئة المعمودية، الذي يحوي تفسيرًا للأمانة إلى جانب تفاسير أخرى (للأبانا وللأسرار خصوصًا)، تهدفُ جميعها إلى تحقيق التكوين الإيماني والكنسي الضروريين للمرشحين للعماد.

=الكنوز». الفاتيكانى - صرّبي ١٥٨، و-ظ. (المجدلوس، فسير، ١٩-٢٠).
وتختلف هذه السلسلة كلياً، عن الشهادات المشابهة التي نجدها في «شرح الأمانة»:
حلب - مباط ١١٢٩، ٦٥؛ أو في كتاب المجدّل: الفاتيكانى - صرّبي ١٠٨،
٥٣-٥٤و. راجع عن هذه «النوّات» الحكيمّة: GRAF, GCAL 1, 483-486.
(٨٧) عنوان تفسير ثاوذوروس المتقيصيّ، بحسب النسخة السريانيّة التي لدينا على الأقل
هو: «شرح أمانة الثلاثانة والثمانية عشر» (دحا ٩٠، حدا ١١، دها ١٢، هدا ١٣، حصر)
Théodore, Homélies, 2. وفي مطلع إحدى مخطوطات تفسير ساويروس ابن الشَّقَقِ:
«تفسير الأمانة المقدّسة التي ربّها الثلاثانة وثمانية عشر أسقفًا». كذلك نجدُ في
عنوان التفسير المنسوب إلى يليّا النصيبي: «كتابٌ تفسير الأمانة الكبيرة التي أُجمِعَ
على عقدها الثُلثانة والثمانية عشر أنا... إيليّا»، تفسير، ١٢٠. أمّا ناسخ تفسير
أبي المجد فكُنِبَ: «تفسير الأمانة الأرثوذكسيّة التي وضعها الآباء الروحانيون بتعمّة
الروح القدس الثُلثانة وثمانية عشر». المجلد لرس، تفسير، ٦.
(٨٨) راجع: DOSSETTI, Simbolo, 35. وليسى للعدد ٣١٨ كما يبدو إلّا قيمة رمزيّة،
ولعلّه مُشرَحى من عدد عبيد إبراهيم الأساء (تك ١٤/١٤). أنظر مُختَصراً عن
مناقشة هذا الموضوع مع المراجع الأساسيّة في: BOULARAND E., L'hérésie
d'Arius et la «Foi de Nicée», 2^e partie, Paris, éd. Letouzey & Ané, 1972, 202-207.

(٢) يتميز اثنان من هذه التفسير بطابع خاص يختلف به عن الآخرين. فتفسير ابن المقفع يشكّل نوعاً من البحث المنهجي الذي يهتم بشكل خاص بتقديم كافة المعلومات التاريخية والتفسيرية المتعلقة بتكوّن نصّ الأمانة ويقارن بين الاختلافات القائمة في طريقة تلاوتها عند المذاهب المسيحية. أمّا «شرح الأمانة»، فإلى جانب اتّساع مساحة نصّه بما يفوق بدرجة كبيرة سائر النصوص^(٨٩)، يتميز عن سواه من التفسير التي عرضناها بأنّه ينتمي إلى النوع «الموسوعي»، الذي يحاول أن يضمّ مجموع المواضيع التي تهتمّ القارئ في مجال مُعيّن، مُستقيماً مادّته ومعلوماته من شتى المصادر الممكنة، ومُصنّفاً إيّاها بحسب نظام تنسيقي مُحَدّد، يجعلها في مُتناوّل الاستعمال والذاكرة. وهو ينسجم بذلك إلى حدّ كبير مع الاتجاه السائد في عصره، في إطار الإنتاج الأدبي الرائج في الكنيسة النسطورية على الأقلّ. فإنّ مُفسّرنا يتخذ في الواقع نصّ الأمانة، مرزّعاً إلى فقرات وعبارات مُحَدّدة، كهيكلية يبنى عليها مجموعه اللاهوتي^(٩٠)، الذي يستقي عناصره من مصادر عديدة، مُجتهداً أن يجعله حاوياً أهمّ المواضيع والقضايا اللاهوتية المُفيدة للمسيحي. ومن الطبيعي أن يؤدّي نصّ الأمانة دوره «الهيكلية» هذا على أكمل وجه، باعتباره الخلاصة الأساسية والرسمية، التي تتضمّن ذكراً أو مدخلاً لكافة أركان الإيمان من دون استثناء.

(٣) لا نجد ذكراً واضحاً في التفسير المتأخّرة يدلّ على معرفة

(٨٩) تفسير ناوذروروس المضيبي، وهو أكثر النصوص الآبائية امتداداً، لا يُغطّي في الواقع أكثر من ١٤١ صفحة مخطوطة. وكذلك تفسير ساويروس ابن المقفع، الأقدم بين التفسير العربية، لا يتجاوز عدد صفحاته الثمانين. أمّا نصّنا فهو يُغطّي أكثر من ٤٠٠ صفحة مخطوطة. ليكون بذلك التفسير الأكبر حجماً بين جميع التفسير القديمة التي تناولها بحثنا.

(٩٠) يكتفي أن ندكّر هنا المثّلين الأكبر أهميّة في عهده، وهما كتاب المجدّل، الذي يتبنّى من رمز البرج هيكلية يُرتّب بموجبها مجموع المعارف المسيحية المتورّدة في ذلك الوقت، أو كتاب أصول الدين لإبليس الجائلين، الذي يقوم بالمهمة ذاتها مصنّفاً موادّه في اثنين وعشرين باباً. راجع عنهما: أبونا، أدب اللغة الآرامية. ٤١٢-٤١٤ و ٣٧٨-٣٨٠.

بالتفسير السابقة لها، لكن يبدو أنَّ التفسير التي تنتمي إلى تقليد كنسي مشترك تربط بينها صلة ما. فتفسير أبي المجد في نسخته ينمُّ كما رأينا على معرفة تفسير ساويروس، ولعلَّه في نياية الأمر استيحاء من الباب السابع في كتاب ابن المقفَّع وتطوير لمحتواه.

أمَّا في شرح الأمانة فنجد ملامح عديدة مشتركة مع تفسير الأمانة الكبيرة المنسوب إلى إيليا النصيبي. ويمكنُ إجمالُ ذلك بثلاث أمور أساسية: أولها صيغة الأمانة وتقسيم فقراتها، وهي تشابهُ في الجزء الأكبر منها بين النصين. لكنَّ هذا التشابه لا ينفي الاختلافات الهامة، في المفردات على وجه الخصوص. ثمَّ منهج التفسير وعباراته التقنية، فالأثنان ينطلقان من فقرات الأمانة العربية، التي يُشارُ إليها بصفة «التفسير»، نحو شرح تفصيلي يُسمَّى «تأويلاً»، ويتَّخذ من كلِّ كلمة من كلمات الأمانة تقريباً، مسبوقاً بعبارة: «وقولهم...»، موضوعاً لتفسير يتفاوت امتداده بحسب الموضوع المرتبط بها. وأخيراً، وجود بعض النصوص المشتركة، التي قمنا بالمقارنة في ما بينها بشكل دقيق، وتوصلنا إلى ترجيح استفادة مؤلِّف شرح الأمانة من نصِّ التفسير، أو استادهما إلى مصدر ثالث مشترك.

المختصرات البيلوغرافية الواردة في الحواشي

ابن كبر، مصباح الظلمة = شمسُ الرئاسة أبو البركات ابن كبر
(٧٢٤هـ/١٣٢٤م)، مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة، الجزء الأول
(الأبواب ١-١٢)، [إعداد: سمير خليل]، القاهرة، مكتبة الكاروز،
١٩٧١.

أبونا، أدب اللغة الآرامية = أليير أبونا، أدب اللغة الآرامية،
بيروت، دار المشرق، ١٩٩٦، ط ٢.

• إيليا، تفسير = إيليا النصيبي، تفسير الأمانة الكبيرة، مخطوط
فاتيكانتي - عربي ١٤٣، ١٢٧-١٤٨ ظ ونيوفيطي ٥٢، ٧١-٨٣ ظ.
نشر جزءاً منه: القس ع. ك. ديلي، النجم ١٤ (١٩٥٤) ٦٨-٧٢+١٢٠-
١٢٤+١٦١-١٦٦.

إيليا، المجلس الأول = إيليا النصيبي، المجلس الأول، نشره:
SAMIR K., «Entretien d'Élie de Nisibe avec le vizir Ibn 'Ali al-Magribi
sur l'Unité et la Trinité», *Islamochristiana* 5 (1979) 31-117.

ساويروس، تفسير = ساويروس ابن المقفّع، تفسير الأمانة، نُشر
بعنوان: Sévère Ibn-al-Moqaffa' évêque d'Aschmounain, *Histoire des
Conciles* (second livre), éd. L. Leroy, PO VI/4 (1911) 465-600.

ساويروس، المجامع = ساويروس ابن المقفّع، كتاب المجامع،
نُشر بعنوان: Sévère Ibn-al-Moqaffa' évêque d'Aschmounain, *Réfutation
de Sa'id Ibn-Batriq* (Le livre des Conciles), éd. P. Chébli, PO III/2 (1905)
121-242.

ساويروس، مصباح = ساويروس ابن المقفّع، مصباح العقل،
تحقيق: سمير خليل، «التراث العربي المسيحي»، ١، القاهرة، ١٩٧٨.
المجدلوس، تفسير = المجدلوس، تفسير الأمانة الأرثوذكسية،

نشره قسطنطين الباشا بعنوان: تفسير قانون الإيمان لأباء المجمع
النيقائي، مُستل من ٣٥ ص عن الرسالة المخلصية (١٩٤٠).

مصري، صيغة عربيّة = بئر مصري، صيغة عربيّة قديمة لقانون
الإيمان يتناولها المؤلفون المسلمون بين القرن ٩ و١٣م، في:
Islamochristiana 20 (1994) 1-26.

Bibliographie 1 = «Bibliographie du dialogue islamo-chrétien
(VIIe-Xe siècle)», établie par: R. Caspar, A. Charfi, M. de
Epalza, A.-T. & P. Khoury, in *Islamochristiana* 1 (1975) 125-
181.

Bibliographie 3 = «Bibliographie du dialogue islamo-chrétien
(XIe-XIIe siècle)», établie par: R. Caspar, A. Charfi et K.
Samir, in *Islamochristiana* 3 (1977) 255-286.

DOSSETTI, *Simbolo* = DOSSETTI G. L., *Il Simbolo di Nicea e di
Costantinopoli*, Edizione critica, Roma, Herder, 1967.

DPAC = *Dizionario Patristico e di Antichità Cristiane*, 3v., Roma, 1
(1983), 2 (1984), 3 (1988).

DS = *Dictionnaire de Spiritualité, ascétique et mystique*, Paris,
1933s.

EI 2 = *Encyclopédie de l'Islam: Nouvelle Édition*, Leiden-Paris, 1
(1960), 2 (1965), 3 (1971), 4 (1978), 5 (1986), 6 (1991).

GRAF, GCAL = GRAF G., *Geschichte der christlichen arabischen
Literatur*, (Studi et Testi, 118, 133, 146, 147 et 172) Città del
Vaticano, 1 (1944), 2 (1947), 3 (1949), 4 (1951), 5 (1953).

MUSJ = *Mélanges de l'Université Saint-Joseph de Beyrouth*.

NASRALLAH, *Histoire* = NASRALLAH J., *Histoire du mouve-
ment littéraire dans l'Église Melchite du V^e au XX^e siècle*,
Louvain-Paris, Peeters & chez l'auteur. II, 2 (750-X^es.) 1988;
III, 1 (969-1250) 1983; III, 2 (1250-1516) 1981; IV, 1 (1516-
1724) 1979; IV, 2 (1724-1800) 1989.

OCP = *Orientalia Cristiana Periodica* Roma.

Patrologia II = QUASTEN J., *Patrologia II: I Padri greci dal
Concilio di Nicea a quello di Calcedonia*, Torino, Marietti, 1980.

PG = *Patrologia Graeca* (J.-P. Migne), Paris, 1857-1866.

PO = *Patrologia Orientalis*, Paris, 1903s.

SBATH, *Bibliothèque* = SBATH P., *Bibliothèque de manuscrits Paul Sbath*, Cairo, tomes 1 (1928), 2 (1932), 3 (1934).

SBATH, *Fihris* = SBATH P., *Al-Fihris: catalogue de manuscrits arabes*, Le Caire, tomes: 1 (1938), 2-3 (1939), sup. (1940).

Théodore, *Homélies* = Théodore de Mopsueste, *Les homélies catéchétiques*, éd. R. Tonneau & R. Devreesse, (Studi e Testi, 145) Città del Vaticano, 1949.

